**الاسم واللقب:** سامية معاطلية

**الرتبة:** طالبة دكتوراه

**المؤسسة:** جامعة 8ماي1945، قالمة

**الأستاذ المشرف:** كحول سعودي

**مخبر الانتماء:** مخبر الفلسفة والدراسات الإنسانية والاجتماعية ومشكلات الاعلام والاتصال

**الهاتف:** 0658410249

**البريد الالكتروني:**maatliasamia92@gmail.com

**ثانيا: المداخلة:**

**عنوان المحور:**الثورة البيولوجية ورهانات البيوطيقا

**عنوان المداخلة:** الثورة البيو تكنولوجية: بين سياسة تحسين النسل والدفاع عن الطبيعة البشرية

**ملخص المداخلة:**

 لقد أحدثت البيو تكنولوجيا بتطبيقاته المتعددة تحولات جذرية عميقة أثرت على طبيعة القيم والوجود الإنساني، بما أتاحته هذه التكنولوجيا الحيوية من إمكانيات لتحقيق اكسير الحياة الذي لطالما حلمت به البشرية من أجل التخلص من الأمراض واطالة العمر المرتبط بحلم الخلود، إضافة الى تحسين النسل والحصول على طفل حسب الطلب من خلال انتقاء الصفات المرغوب توفرها في الأبناء.

على الرغم من الإيجابيات التي يمكن لهذه التكنولوجيات تحقيقها، الا أن ذلك لا يمنع من وجود سلبيات تتعلق خصوصا بالقضايا والاشكاليات المرتبطة بالطبيعة البشرية والقيم

الأخلاقية ومسائل أخرى.

**الكلمات المفتاحية:** البيو تكنولوجيا، تحسين النسل، الحرية، البيو اتيقا، الهندسة الوراثية.

**Abstract :**

Biotechnology, withits multiple applications, has brought about profound radical transformations that have affected the nature of human values ​​and existence, as thisbiotechnology has enabled the possibilities to achieve the elixir of life thathumanity has alwaysdreamed of to getrid of diseases and prolong life associatedwith the dream of immortality, in addition to improvingprogeny and having a childaccording to Demand by selecting the desiredqualities to beavailable in children.

Despite the positives thatthese technologies canachieve, thisdoes not preclude the existence of negatives, especiallyrelated to issues and dilemmasrelated to human nature, moral values, and other issues.

**Keywords :**Biotechnology, Eugenics, Freedom, Bioethics, Genetic engineering.

1. **المقدمة:**

ان الحديث عن تحسين النسل أمر مرتبط بحلم قديم، بدأت ملامحه تتحقق بفضل التطورات الهائلة التي شهدها العلم المعاصر في ميادين الطب والبيولوجيا خصوصا في ظل ارتباط الطب بالتقنية، اذ تمكن هذا التآلف من تحقيق معرفة أدق بالإنسان وبمخزونه الجيني، فأصبح بالإمكان فك دقائق الجينوم البشري ومعرفة سمات كل جين، بل والتدخل في الخريطة الجينية للإنسان وتعديلها وبرمجتها وفق تصاميم مسبقة، واختيار الصفات المرغوب توفرها في الأجنة من أجل تحسين القدرات العقلية والجسمية وامتلاك صفات متميزة تحقق النجاح في المستقبل.

وعلى الرغم مما يمكن تحقيقه بفضل التكنولوجيات الحيوية، خصوصا في علاج الكثير من الأمراض المستعصية، الا أن ترك العنان لهذه الممارسات يفتح باب الخطر على الطبيعة البشرية ومستقبلها، الأمر الذي ولد ردود فعل من أجل الدفاع عن الانسان وكرامته وعن مستقبل الطبيعة البشرية.

والسؤال المطروح هنا: **ما مستقبل الطبيعة البشرية في ظل سياسة تحسين النسل؟**

1. **مدخل مفاهيمي:**

**1.2: مفهوم البيو تكنولوجيا:**

ينقسم مصطلح البيو تكنولوجيا الى دلالة لغوية جامعة لمفهومين، الأول بيو Bios وهي ذات أصل يوناني وتعني الحياة بمفهومها العضوي، وتكنولوجيا وهي مجموع الوسائل الفنية التي تمكن من تطبيق نتائج العلم تطبيقا عمليا، وبما أن البيو تكنولوجيا تتخذ من الحياة العضوية موضوعا لها، فان المصطلح يدل على التطبيقات التقنية على الجسم الحي[[1]](#footnote-2).

وقد مكّن مصطلح البيو تكنولوجيا من تصور معاصر جدا لحقل الممارسة الطبية، يقوم على إمكانية التدخل في العضوية الحية واحداث التحول الملائم عليها، سواء على المستوى العلاجي أو يكون الغرض تحسيني، أي تحسين العضوية الحية نحو الأفضل، وهذا الأخير

يحمل في طياته روح داروينية مفادها أن الكائنات الحية تسير نحو بلوغ كمالها[[2]](#footnote-3).

**2.2: مفهوم تحسين النسل:**

 هو جملة التوجهات الجديدة في مجال الخدمات الطبية الجينية، تقترحها حاليا شركات عالمية كبرى تستثمر في ميادين الطب والتكنولوجيا الحيوية، وهذه التطبيقات تقترح اليوم باسم الاستجابة لرغبات حرة من قبل الآباء، لتجنيب أبنائهم الإصابة بأمراض وراثية، أو لتزويدهم بخصائص وراثية جديدة لا يملكونها، من شأنها تقوية حظوظهم للنجاح في المستقبل[[3]](#footnote-4).

**3.2: مفهوم البيواتيقا:**

يشير مصطلح البيواتيقا الىالوعي بالممارسات المقلقة للعلوم البيو طبية على الجسد البشري، وهذا الوعي لم يكن خاص بالفلاسفة فحسب، انّما بدأ يتشكل في المستشفيات والمخابر ليكون للعلماء السبق في تخريج دلالاته، ثم تحول الى وعي مشترك بين جهات كثيرة علمية وفلسفية وحقوقية وسياسية... وهذا الوعي يهتم بالتجاوزات التي أحدثها العلم على الحياة[[4]](#footnote-5)، يعني هذا أن ان الهدف الأساسي للبيواتيقا هو الدفاع عن حياة الانسان وصون كرامته وحمايته من مختلف التجاوزات التي أحدثها الطب في اقترانه بالتقنية، بذلك قدّمت البيواتيقا نفسها ضمن الواقع الذي آلت اليه العلوم البيو طبية بوصفها مقاربة متعددة التخصصات، تحتك بباقي العلوم قصد إيجاد الحلول اللازمة لمختلف المعضلات التي يواجهها الانسان في ظل التطور الحاصل في ميدان الطب والبيولوجيا.

 كما تعتبر البيواتيقا عودة ضرورية للسؤال الفلسفي، ليكون السؤال في البداية أكسيولوجيا، لكنه تحول فيما بعد الى سؤال أنطولوجي يتعلق بطبيعة الوجود الإنساني، بالنظر الى القضايا

والاشكاليات التي تطرحها تطبيقات الهندسة الوراثية[[5]](#footnote-6).

1. **يوجينيا أم تحسين النسل:**

تحسين النسل عبارة عن سياسة متبعة من قبل العديد من الدول، وهي ليست بالأمر الحديث انما تضرب بجذورها الى الحضارات والمجتمعات القديمة، وخاصة المجتمع اليوناني وقد تجلى ذلك بوضوح مع "أفلاطون" من خلال اهتمامه بالبنية الجسدية بحثا عن الانسان القوي لحماية الدولة، والأجساد ذات الذكاء المميّز لتسيير النظم السياسية، اذ حاول من أجل بناء جمهوريته الفاضلة أن يضع قوانين تحدد النسل وتنظمه بين مجموعات معينة من الناس حاملين لنفس الصفات قصد إيجاد نخبة من الأطفال الذين لا يشكون من أي علة، ويشكلون جيل المستقبل في المدينة الفاضلة[[6]](#footnote-7).

تجدر الإشارة الى أن اليوجينياعبارة عنحركةعلميةواجتماعية تستند الى نظريات "تشارلس داروين" للتطور البشري، التي عرفت أصلا بأنها علم التحسين العرقي[[7]](#footnote-8)، وقد بلغت سياسة تحسين النسل ذروتها مع النازية خلال الحرب العالمية الثانية أين بدأ النظام النازي في تطبيق سياسته اليوجينية بإبادة المعاقين والمشوهين بدنيا،كما عملوا مقابل ذلك في سبيل تكاثر الجنس الأفضل استخدام أفضل الرجال من الناحية العرقية في تلقيح أفضل النساء كذلك[[8]](#footnote-9)، كما تم اختطاف الأطفال "ذوو القيمة العرقية" في البلدان المحتلة بالقوة من آبائهم، اذ تم تبنيهم من قبل الشعب الألماني[[9]](#footnote-10)، كل ذلك كان في سياق التخطيط للمجتمع المثالي.

وإذا كان هذا النوع من تحسين النسل تراجع بعد أن اكتوت به البشرية، من خلال الإعلان

العالمي لحقوق الانسان وما يلازمه من قوانين هادفة الى المحافظة على حياة الانسان واحترام قدسيتها، الا أنه برز مفهوم جديد للنسالة في ظل المجتمعات الليبيرالية، مرتبط برغبة الأفراد وحريتهم.

1. **تحسين النسل من الحرية الانتقائية الى الحرية الايتيقية:**

فتحت التطورات المتسارعة التي شهدها الطب المعاصر في اقترانه بالتقنية آفاق رحبة أمام الانسان، اذ أصبحت غاية الطب لا تنحصر في الجانب العلاجي فحسب، انما أصبحت غاية تحسين النسل الذي حلمت بها البشرية منذ أفلاطون ممكنة في ظل التطور البيو تكنولوجي.

يقوم تحسين النسل الليبيرالي على فكرة الاستقلالية الذاتية باعتبارها الطريق الأول نحو الحرية، ويتم عن طريق انتقاء الأجنة في إطار الفحص المبكر لما تحمله من سمات مرغوبة، أو تعديلها وتحويرها عن طريق الهندسة الوراثية، وانتقاء المتبرعين بالمشائج في إطار التلقيح الاصطناعي خارج الرحم[[10]](#footnote-11).

ومع الإمكانات التي وفرتها البيو تكنولوجيا هي امكانيةإنجاب طفل مخطط له مسبقا بواسطة التغيير الجيني، ومن ثم تأسيس علاقات أسرية مبنية على إرادة التحكم لا على القبول، هذا التدخل الجيني ما هو الا نوع جديد من الاستعباد، بالتالي قامت البيو تكنولوجيا بتغيير الحالة الطبيعية وتحويلها نحو الأغراض الخاصة بالإنسان الحديث[[11]](#footnote-12).

ان الممارسات المتعلقة بفرضية اختيار طفل ذي خصائص كاملة عن طريق التحكم الجيني، وتقنيات الاخصاب الصناعي، يفتح الباب أمام تحول العملية الإنجابية للعمل التجاري الاقتصادي، كما أن الطفل في هذه الحالة يكون سلعة تم اختيارها، وليس عطاء طبيعي قائم على مبدأ القبول[[12]](#footnote-13).

تعرض مشروع تحسين النسل لكثير من الانتقادات والآراء المتباينة، فقد اتهم بأنه داروينية جديدة وإرادة هادفة لتغيير الطبيعة الإنسانية، وأنه يوتوبيا تقنية حالمة ببلوغ الانسان الكامل.

ويعتبر الفيلسوف الألماني "بيتر سلوتردايك" من المدافعين عن إنجازات الثورة البيو تكنولوجية، فالإنسان من وجهة نظره كائن لم يستقر بعد على طبيعة نهائية، لذلك ينبغي إعادة النظر في خصائصه ورفض الاستسلام للطبيعة البيولوجية، فهو يدعو الى الانتقاء الجيني الذي يوفره اليوم علم الوراثة وتقنيات الانجاب لتحقيق الانسان الجديد الذي لطالما حلمت به الفلسفة منذ أفلاطون[[13]](#footnote-14).

الا أن هناك العديد من الفلاسفة الذين نصبوا أنفسهم كمدافعين عن قدسية حياة الانسان وكرامته، اذ نجد "هابرماس" يدافع عن الطبيعة البشرية في كتابه "مستقبل الطبيعة البشرية، نحو نسالة ليبيرالية"، وكان موقف هابرماس واضحا تجاه الممارسات النسالية، ويتحدد من خلال الأهداف والغايات التي يهدف اليها التدخل في الجينوم البشري، وبذلك ميّز لنا بيننوعين من تحسين النسل حدّدهما فيما هو إيجابي وسلبي.

لا يعترض "هابرماس" على مختلف التدخلات الجينية التي يكون الهدف منها علاجي، سواء تعلق الأمر بمعالجة مرض وراثي الذي يستدعي تغيير الشفرات الوراثية الموجودة في الأجنة أو تعديلها، أو التدخّل بهدف ضمان حياة بصحة جيّدة[[14]](#footnote-15).

أما الجانب السلبي الذي يعترض عليه "هابرماس" يتمثل في التطبيقات التي يحلم أن يصل اليها بعض العلماء، كتغيير طبيعة البشر عن طريق تغيير تركيبهم الوراثي، مما قد يفقد الانسان صفاته التي تشكل انسانيته ويلغي ارادته وحريته[[15]](#footnote-16)، وحتى أن التدخل في التركيبة الجينية في مرحلة ما قبل الولادة تؤثر على الانسان في المستقبل، اذ يراهن "هابرماس" على أنّه " بمجرد أن يعرف الانسان أن جينومه الشخصي قد تمت برمجته لهو عامل يؤدي الى اضطراب الوضوح الذي بموجبه نوجد نحن بوصفنا جسدا على ما نحن عليه بشكل ما، وأنّه من هذا الحدث سيولد نمط جديد من العلاقات اللامتوازنةبشكل فريد بين الأشخاص"[[16]](#footnote-17) بمعنى أن الشخص اذا علم أن جينومه البشري تم تعديله والتدخل فيه، وأن ما وهب من صفات ليست انتاج طبيعي خالص، قد يؤدي الى تشتت العلاقة بينه وبين والديه لأنه قد لا يكون راضيا عن هذه التدخلات الخارجة عن نطاق ارادته الخاصة.

في حين اعتبر "فرنسيس فوكوياما " أن تقنيات تحسين النسل بما فيها الهندسة الوراثية بشكل خاص هي عبارة عن مؤشر لظهور شكل جديد من اليوجينيا بالنظر الى الخيارات اللامتناهية التي تقدمها البيو تكنولوجيا المعاصرة، والتي تمكّن الآباء من اختيار الصفات المناسبة المرغوب توفرها في الأبناء، يقول في هذا السياق: "ستكون الجائزة الكبرى للتكنولوجيا الوراثية الحديثة هي الطفل التفصيل، يعني أن سيتمكن الوراثيون من تحديد الجين الخاص بخصيصة كالذكاء أو الطول أو لون الشعر أو العدوانية أو تقدير الذات وأن يستخدموا هذه المعرفة في تخليق صيغة طفل أفضل، لا يلزم أن يأتي الجين المعني من انسان"[[17]](#footnote-18)، أي أن الممارسات التي يقوم بها العلماء في ميدان الهندسة الوراثية تثير العديد من الشكوك حول إمكانية التلاعب بالجينات وخلطها بجينات نباتية مثلا للحصول على بعض السمات التي يتميز بها النبات عن الانسان كالتركيب الضوئي.

لذلك حاول "فوكوياما" في العديد من مؤلفاته الإشارة الى الخطر الذي يحدّق بالبشرية وهو خطر التقني الحيوي المعاصر، لذلك أكد على " ضرورة رسم الخطوط الحمر التي تفصل بين القانوني من الأنشطة ومن المحرّم منها (...) ان معظم من يقرأ قائمة الابتكارات السابقة التي

قد تتحقق بواسطة التقنية الحيوية سيطلبون على الأرجح أن يتم رسم بعض الخطوط الحمر"[[18]](#footnote-19).

ولا يرفض "فوكوياما" على غرار "هابرماس" تلك الممارسات الهادفة نحو غايات علاجية، ولرسم الخطوط الحمر ينبغي "التمييز بين المعالجة والتعزيز، وفي الوقت نفسه ينبغي وضع قيود للتعزيز، ذلك أن الغرض الأساسي لمهنة الطب هو معالجة المرضى لا تحويل الأصحاء الى آلهة، ومن وجهة نظره ينبغ استغلال التقنيات الحيوية في علاج الأمراض الوراثية كالتليف الكيسي وغيره، لكن ليس في جعل أطفالنا أكثر ذكاء وأكثر قامة"[[19]](#footnote-20).

1. **خاتمة:**

وفي الأخير نستنتج أن مسألة تحسين النسل ليست بالأمر الجديد انما تضرب بجذورها الى العصر اليوناني، وخاصة مع "أفلاطون" في ظل البحث عن بناء المجتمع المثالي الذي ركز فيه على البنية الجسدية والعقلية للأفراد، وقد بلغت سياسة تحسين النسل ذروتها مع النازية وكانت عبارة عن سياسة عنصرية استبدادية بامتياز.

بعد تراجع الممارسات النسالية العنصرية، عملت التكنولوجيات الحيوية على إعادة احياءها بأشكال أكثر مرونة، وفي الوقت نفسه أشد حدة وخطورة، وتشكل هذه الممارسات النسالية خطر على مستقبل الطبيعة البشرية، لذلك حاول الفكر البيوطيقي أن يعيد السكة ويضبط هذا التطور ويوجهه بحيث يصبح فقط في خدمة الانسان ومستقبلهوألا ينفلت الى مطبات قد تشكل خطرا على مستقبل الجنس البشري.

**قائمة المراجع:**

1. **باالغة العربية:**
2. زيجمونتباومان: الحداثةوالهولوكوست،ترجمة: حجّاجأوحبر،دينارمضان،مداراتللأبحاثوالنشر،القاهرة، 2013.
3. سميةبيدوح: فلسفةالجسد،دارالتنويرللطباعةوالنشروالتوزيع،تونس، 2009.
4. فرنسيسفوكوياما: مستقبلنابعدالبشري (عواقبثورةالتقنيةالحيوية)،ترجمة: إيهابعبدالرحيممحمد،مركزالاماراتللدراساتوالبحوثالاستراتيجية،أبوظبي، 2006.
5. فرنسيسفوكوياما: نهايةالانسان (عواقبالثورةالبيوتكنولوجية)،ترجمة: أحمدمستجير،إصداراتسطور، (د.م.ن)، 2002.
6. مصطفىكيحل: مدخلالىقضاياالفلسفةالتطبيقية،الجمعيةالجزائريةللدراساتالفلسفية،الجزائر، 2018.
7. ناهدةالبقصمي: الهندسةالوراثيةوالأخلاق،المجلسالوطنيللثقافةوالفنونوالآداب،الكويت، 1993.
8. نورةبوحناش: الأخلاقوالرهاناتالإنسانية،أفريقياالشرق،المغرب، 2013.
9. نورةبوحناش: البيواتيقاوالفلسفة (منالانسانالفائقالىالانسانالمتزكي)،المؤسسةالعربيةللفكروالابداع،بيروت، 2017.
10. يورغنهابرماس: مستقبلالطبيعةالبشرية،نحونسالةليبيرالية،ترجمة: جورجكتورة،المكتبةالشرقية،بيروت، 2006.
11. **باللغة الأجنبية:**
12. Nicolae sfetcu : évolution et éthique de l’eugénisme, collection Essais MultiMedia publishing, 2019.
13. Oksamayakushko, Eugenics and its évolution in the history of western pshychology: A criticalarchivalreview, wiley Dol : 10.1002/ ppi.1495, 2019.
1. نورة بوحناش: الأخلاق والرهانات الإنسانية، أفريقيا الشرق، المغرب، 2013، ص239. [↑](#footnote-ref-2)
2. المرجع نفسه، ص239. [↑](#footnote-ref-3)
3. مصطفى كيحل: مدخل الى قضايا الفلسفة التطبيقية، الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، الجزائر، 2018، ص43. [↑](#footnote-ref-4)
4. نورة بوحناش، الأخلاق الرهانات الإنسانية، ص 246. [↑](#footnote-ref-5)
5. نورة بوحناش: البيواتيقا والفلسفة (من الانسان الفائق الى الانسان المتزكي)، المؤسسة العربية للفكر والابداع، بيروت، 2017، ص 159. [↑](#footnote-ref-6)
6. سمية بيدوح: فلسفة الجسد، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، 2009، ص56. [↑](#footnote-ref-7)
7. Oksamayakushko, Eugenics and its évolution in the history of western pshychology: A criticalarchivalreview, wiley Dol : 10.1002/ ppi.1495, 2019, P 2. [↑](#footnote-ref-8)
8. زيجمونتباومان: الحداثة والهولوكوست، ترجمة: حجّاج أو حبر، دينا رمضان، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، 2013، ص 145. [↑](#footnote-ref-9)
9. Nicolae sfetcu : évolution et éthique de l’eugénisme, collection Essais MultiMedia publishing, 2019, p14. [↑](#footnote-ref-10)
10. مصطفى كيحل: مدخل الى قضايا الفلسفة التطبيقية، ص43. [↑](#footnote-ref-11)
11. نورة بوحناش: الأخلاق والرهانات الإنسانية، ص 279. [↑](#footnote-ref-12)
12. نورة بوحناش: البيواتيقا والفلسفة، ص ص 268، 269. [↑](#footnote-ref-13)
13. مصطفى كيحل: مدخل اى قضايا الفلسفة التطبيقية، ص ص 46، 47. [↑](#footnote-ref-14)
14. يورغنهابرماس: مستقبل الطبيعة البشرية، نحو نسالة ليبيرالية، ترجمة: جورج كتورة، المكتبة الشرقية، بيروت، 2006، ص 65. [↑](#footnote-ref-15)
15. ناهدة البقصمي: الهندسة الوراثية والأخلاق، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993، ص 182. [↑](#footnote-ref-16)
16. يورغنهابرماس: مستقبل الطبيعة البشرية، ص55. [↑](#footnote-ref-17)
17. فرنسيس فوكوياما: نهاية الانسان (عواقب الثورة البيو تكنولوجية)، ترجمة: أحمد مستجير، إصدارات سطور، (د.م.ن)، 2002، ص125. [↑](#footnote-ref-18)
18. فرنسيس فوكوياما: مستقبلنا بعد البشري (عواقب ثورة التقنية الحيوية)، ترجمة: إيهاب عبد الرحيم محمد، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، 2006، ص255. [↑](#footnote-ref-19)
19. فرنسيس فوكوياما: مستقبلنا بعد البشري، ص257. [↑](#footnote-ref-20)